الروائي، فهو يعتبر أن الدليل اللغوي مُحَمَّلٌ بشحنة إيديولوجية لا تعكس الصراع الاجتماعي السائد، وإنما تجسده وتدخل في سياقه[54]. وباعتبار أن الرواية هي نظام من الدلائل، فإن باختين كان مدفوعاً إلى القول باقتحام الإيديولوجيا لعالمها المعقد، ذلك أن الروائي في نظره لا يتكلم لغة واحدة، كما أن أسلوبه ليس هو لغة الرواية ذاتها، لأن الرواية في الواقع متعددة الأساليب، فكل شخصية وكل هيئة تُمَثَّلُ في الرواية إلا ولها صوتها الخاص وموقفها الخاص ولغتها الخاصة، وأخيراً إيديولوجيتها الخاصة[55]، وهكذا فلا حاجة تدعو إلى مقابلة الرواية بالواقع لأن الواقع حاضر في الرواية على المستوى اللساني نفسه.

وعلى هذا الأساس فإن الإيديولوجيا تدخل الرواية باعتبارها مكوناً جمالياً لأنها هي التي تتحول في يد الكاتب إلى وسيلة لصياغة عالمه الخاص، وهذا ما نقصد بالمستوى الأول لوجود الإيديولوجيا في الرواية والذي أطلقنا عليه تسمية الإيديولوجيا في الرواية. وكثيراً ما أخطأ النقاد العرب مثلاً في التعامل مع هذه الإيديولوجيات المُكَوِّنَة لبنية الرواية فتعاملوا معها أو على الأصح مع بعضها على أنها تعبر بشكل مباشر عن صوت الكاتب، **مع أن كُتَّاب الرواية غالباً ما يقومون بعرض هذه الإيديولوجيات والمواجهة بينهما من أجل أن يقولوا ضمنياً شيئاً آخر ربما يكون مخالفاً لمجموع تلك الإيديولوجيات نفسها.**

ويمكننا أن نتحدث عن الإيديولوجيات في الرواية من خلال مثال توضيحي، فلو أخذنا رواية «الوطن في العينين»[56] كنموذج فإننا نجد فيها عدداً من الإيديولوجيات المتصارعة التي يمكن تصنيفها إلى نوعين:

- إيديولوجيات وطنية متصارعة.
- إيديولوجية عربية في مواجهة إيديولوجية غربية.

أما الإيديولوجيات الوطنية المتصارعة فتظهر من خلال تحليل الصراع الذي كان بين فصائل المقاومة، وارتباط بعضها باليمين أو اليسار:

«- قولي هل صحيح ما يروى عن القيادات الفلسطينية.

- ماذا تريد أن تقول؟

---

(54) انظر ما قاله باختين في هذا الصدد في كتابه: **Le Marxisme et la philosophie du langage, Ed.** Minuit. 1977. P. 25. وما بعدها.

(55) انظر ما قالته جوليا كريستيفا، بصدد الحديث عن آراء باختين حول الإيديولوجيا في الرواية، وكذلك حول تعددية الأصوات، وذلك في المقدمة التي كتبتها لمؤلفه: **La Poétique de Dostoievski.** P. 18.

(56) حميدة نعنع: **الوطن في العينين.** دار الآداب، بيروت، ط 1، 1979.